الصراع بين الشرق و الغرب قديماً

1- الإسكندر المقدوني و حربه ضد الشرق

د. الطيب محمد حمادي
كلية الآداب - جامعة قاريونس

- **الإسكندر المقدوني و حملته على الشرق القديم .**
- **الجذور التاريخية للصراع :**

لم تكن هذه الهجمة الأولى التي تتعرض لها منطقة الشرق بصفة عامة و المشرق العربي القديم بصفة خاصة من قبل ما يعرف بالغرب و الحضارة الغربية القديمة منها و الحديثة.

ولو عدنا للتاريخ القديم لوجدنا عشرات الحملات التي قام بها و تبناها المنحـــرفون فكرياً و دينياً من الشعوب الغربية و قـــد إتخذت تلك الحملات أو الهجمات التي يمكننا وصفها في بعض الأحيان "**بالبربرية**" بما تعنيه الكلمة من معنى ، إتخذت طابعين أساسيين، حملات أو هجمات المغزى منها ضرب و تدمير الحضارة و الثقافة الشرقـــية التي كانت منذ القدم و حتى وقتنا الحالي تمثل عقدة نقص لدى الغرب و سنعود لشرح هذا الموضوع لاحقـــاً، و حملات أو هجمات إتخذت الطابـــع الديني العنصري ، و قـــد تكون هذه الحملات أي الدينية قد إتخذت نفس الهدف السابق أي إلى جانب الهدف الديني ضرب الحضارة و الثقافة الشرقية في آنٍ واحد.

وقبل الدخول في أولى حلقات الصراع الشرقي الغربي في فترة العهد القـــديم و الذي

يمثل سلسلة من الأحداث إستمرت لفترة تزيد عن ألفين و ثلاثمائة عام تقريباً، يجب أن نوضح عُقد النقص التي يشعر بها الغرب تجاه الشرق العريق منذ القدم والتي كانت العلاقة السائدة بينهما تتمثل في عطاء من الشرق و نكران جميل من الغرب، وقد يقول أحد القراء أن هذا الكلام يعود إلى الفترة المعاصرة وهو كلام سياسي و ليس علمياً، و لكن هذه هي حقيقة الصراع التي لا نستطيع أن نتجاهلها من خلال الوثائق التاريخية قبل أن يبدأ الصراع في العصر الحديث أو حتى خلال فترة الحروب الصليبية و العصور الوسطى، و يمكننا أن نتعرف على ذلك من خلال أقوال و أحاديث القادة العسكريين و المدنيين وأقوال المؤرخين الغربين ، الذين حفظ لنا التاريخ أحاديثهم و أفكارهم و إتجاهاتهم في الفترات التاريخية المختلفة في فترة التاريخ القديم.

وحسب وجهة نظري فإن عقدة النقص التي يعاني منها الغرب تجاه الشرق تكمن في عدة أسباب مباشرة و غير مباشرة **لعل من أهمها:-**

- تعتبر مناطق الشرق القديم : مصر الفرعونية و شبه الجزيرة العربية و بلاد الشام، الأماكن الحضارية الأولى في التاريخ الإنساني و مصدر إشعاع حضاري لكل الحضارات التي إزدهرت فيما بعد في مختلف العلوم التي بنى عليها الغرب حضارته ، ليس في العصور المتأخرة بل في بداية قيام الحضارات في أوروبا القديمة و المتمثلة في الحضارة اليونانية والرومانية.

- فقد مثلت تلك الحضارات التي تجمع فيما بينها كلمة "**الشرق**" إكتشاف الكتابة في العالم و تأسيس أولى الإمبراطوريات في التاريخ القديم وأرقى أنواع الإنتاج الأدبي الإنساني و على رأس ذلك الفكر الديني و تطوره و أساطيره "**الطوفان+جلجامش**" مختلف العلوم التطبيقية و الفلكية و إكتشاف المعادن و تسخيرها لخدمةالإنسان إلى غير ذلك من العلوم ، إضافة بالطبع إلى الموقع الإستراتيجي الذي يتمتع به الشرق القديم وتحكمه في المنافذ البرية و البحرية و الثروات الطبيعية التي تتمتع بها أرضه و أهم مقومات الحياة الحضارية و هي المياه و الزراعة.

– من الأمور المهمة التي تتعلق بعقد النقص المستعصية لدى الغرب تجاه الشرق موضوع الديانات السماوية التي ميز الله بها منطقة الشرق القديم بصفة عامة و التي أصبحت بعضها تمثل ديانة تخص الغرب أكثر من تواجدها في الشرق و هي الديانة المسيحية والتي جعلت من قسطنطين الأول "**306–337م**" ينقل العاصمة الرومانية من روما إلى القسطنطنية حتى يكون أقرب في حملاته العسكرية لإحتلال الشرق المسيطر على الأماكن المقدسة المسيحية في فلسطين.

هذا جزء قليل جداً من الأمور التي جعلت الغرب ينظرون إلى الشرق الذي إقتبسوا منه الأسس التي أقاموا عليها حضارتهم نظرة دونية قائمة على الباطل و ليس الحق و قد أطلقوا عليهم و على العالم الذي لا ينتمي للإغريق أو الرومان كلمة "**البرابرة**" حتى يشعروا أنهم أقل منهم في المرتبة البشرية.

و بعد هذا التمهيد نصل إلى الصراع بين الحضارات و الثقافات القديمة الصراع بين الأديان الصراع بين الحق و الباطل.

الإسكندر المقدوني :

الطفولة و البناء الفكري و أسباب الصراع :

يعود الاسكندر المقدوني فى جذوره العرقية إلى مقدونيا التي تعتبر نفسها هي الوارثة للحضارة و الثقافة اليونانية ، و التي تقع في الجزء الشمالي من شبه جزيرة البلقان "**اليونان الحالية**" و تقع مقدونيا في الجزء الجنوبي الشرقي من أوروبا، منطقة جميلة تتمتع بجبال وسهول جميلة و بوفرة المياه فيها و يعتبرها اليونانيين بلاداً تتكون من الرعاة و الفلاحين الذين يربون الأغنام و يلبسون جلودها و لا يملكون إلا العاصمة الحضارية على النمط الإغريقي وهي بيلا Pella (1).

قامت الدولة المقدونية على يد أحد القادة المقدونيين الذين استولوا على الحكم بالقوة و الدهاء السياسي و خلال مدة قليلة إستطاع أن يؤسس دولة تتمتع بقوة ضخمة كان

عمودها الفقري الجيش و نوعيته و قد كان ذلك المؤسس هو "**فيليب الثاني**". لم يكن فيليب رجل دولة صغيرة بل أسس إستراتيجية على أساس إمبراطورية تتكون من المدن الإغريقية التي عاشت حالة المدينة الدولة City-State لفترة طويلة من تاريخها و لم تعرف الوحدة بينها و لم يصل العام 337 ق.م حتى إستطاع فيليب السيطرة على معظم المدن الإغريقية و يشكل منها حلفاً موحداً يضم منطقة واسعة و دولة قوية تتمتع بإمكانيات عسكرية و إقتصادية و كان الهدف المعلن من ذلك الإنتقام من الفرس.

كان قد مر على الإحتلال الشرقي الأول في التاريخ لدولة أوروبية و هي مدينة أثينا أكثر من قرن و نصف تقريباً و تعود فترة الإحتلال الفارسي تلك إلى العام 480 ق.م.

و نحن هنا لا نبرر الإحتلال الفارسي لأثينا و لكن نريد أن نعرف أسبابه، و لعل من أهم الأسباب أن العيلاميين و الأكاديين و الكنعانيين و من بعدهم الفنيقيين و الحضارة الفرعونية في مصر القديمة كانوا سادة منطقة بحر إيجه و آسيا الصغرى و هضبة الأناضول و البحر الأسود منذ الفترات التي لم يتم فيها تشكيل الأمة اليونانية بعد، و التي يعيدها المؤرخون إلى بداية الألف الثاني ق.م. وكانت تلك الحضارات مسيطرة على تلك المناطق منذ الألف الثالث قبل الميلاد.

ومع تشكل الأمة اليونانية و بداية ظهورها و بالتحديد على يد الحضارة الموكبتية 1500 ق.م. بدأ الصراع على منطقة بحر إيجه و بعض الجزر المهمة في البحر المتوسط مثل جزيرة قبرص وورودس القريبتين من مناطق الشرق القديم و جزر بحر إيجه القريبة من الساحل الجنوبي من آسيا الصغرى.

و بناءً على تلك الصراعات فقد قرر الفرس ضرب أحد المدن اليونانية التي كانت تساعد دويلات المدن الإغريقية التابعة للفرس على التمرد عليهم. و قد نلاحظ ذلك من خلال الحملة الفارسية التي كان تخطيطها عدم البقاء في بلاد اليونان بعد أن إستطاعوا إكتساحها و نتيجة للخسائر الضخمة و الهزائم التي تعرضوا لها فلم يبقوا فيها و انسحبوا منها و كان ذلك في العام 480 ق.م . كما ذكرنا سلفاً..

و **بالرغم** من المدة الطويلة التي مرت على تلك الأحداث فقد ظلت مطبوعة في ذاكرة الإغريق الذين ينظرون إلى الشرق الذي بنوا حضارتهم على أساسه ينظرون إليه بنوع من التخلف و الدونية، و لهذا لم ينسوا تلك الفاجعة و هي إحتلال أثينا و جاء الوقت لكي يردوا الصاع صاعين و يقوموا بتدمير تلك الدول الحضارية التي يرون فيها مصدر خطر عليهم في الفترات القادمة.

إذن تلك هي الدولة المقدونية و تأسيسها و التي تعتبر وريثة الحضارة الإغريقية بما فيها إحتلال أثينا من قبل الفرس في العام 480 ق.م.

وقبل الحديث عن إستلام الأسكندر المقدوني لمقاليد الحكم ، نتعرف على شخصيته وبنائه الفكري و تلك الشخصية القيادية التي مثلها والتي تحمل ثاراً ضد الشرق القديم الذي إنتهك حرمة مدينة أثينا المقدسة.

ولد الإسكندر المقدوني إبن فيليب الثاني و أمه أولمبياس في العام 356 ق.م ونتيجة لجنون أبيه وحبه للنساء فقد ساءت العلاقة بين الزوجين فيليب وأولمبياس إضافة إلى الشكوك التي كانت تساور فيليب حول إنتماء الأسكندر إليه أم أنه من رجلٍ ثان، كل تلك الأشياء أدت إلى هروب أولمبياس وابنها الأسكندر من مقدونيا و زواج فيليب و قد حدث ذلك في العام 337 ق.م (2).

أما فيما يخص البناء الفكري و السياسي للأسكندر المقدوني فقد كان على يد الفيلسوف اليوناني "**أرسطو**" و قد إستطاع أن يؤثر على أفكار الإسكندر و إتجاهاته وكتب أرسطو رسالة للإسكندر تتعلق بفن الحكم و رسالة أخرى تتعلق بشؤون الإستعمار و السيطرة و التحكم في الآخرين(3).

العولمة و الإخاء في عهد الإسكندر المقدوني:

قد تكون هذه الكلمة غريبة عن موقعها في هذه الفترة و خارجة عن سياق الحديث، و لكنها تمثل الفكرة التي دعا لها الإسكندر المقدوني بعد إنتصاراته الواسعة في الشرق

وإنبهاره بالحضارة الشرقية ، حيث يعتبر الإسكندر المقدوني من أوائل القادة الذين دعوا إلى توحيد العالم تحت ثقافة و حضارة واحدة و تحت إسم الإخاء و في إطار الثقافة والحضارة الهللنستية التي إنطلقت مع الإسكندر المقدوني و تكونت من إندماج ثقافة الغرب الإغريقي و ثقافة الشرق من بلاد فارس و بلاد الشرق القديم و مصر الفرعونية. وعندما مات الإسكندر و إنقسمت إمبراطوريته و بقت الثقافة و الحضارة الهللنستية وقامت حركة المقاومة الشرقية ضدها و بدأت تلك الحضارة في مراحل الإنهيار تحرك الغرب مرة أخرى و هذه المرة بقيادة روما وانقضت على الشرق من جديد و ضمته لإملاكها(4).

أما فيما يخص النظام العالمي الذي نادى به الأسكندر المقدوني فقد كان يقوم على فكرة وجود عالم واحد "Oikoumene" تحت قيادة الناس المتحضرين من البشر تجمع بينهم لغة مشتركة واحدة "Koine" و(5)وهي اللغة الأغريقية بطبيعة الحال.

وكانت كلمة "Homonoia" و التي تعني وحدة البشر(6). قد إستمرت في اللغات الحديثة "Homology" و تعني التماثل أو التشاكل أي تشابه في التكوين أو الوظيفة بين أعضاء كائنات حية مختلفة نتيجة لنشوئها عن أصل واحد(7).

وبناء على تلك الثقافة والحضارة الجديدة التي تضم الشرق و الغرب فقد عُرف ذلك العالم بالعالم الهللنستي والحضارة بالهللنستية "Hellenism" و قد أطلقت على الأشخاص الذين يقومون بمحاكاة للفكر الإغريقي و العادات و الأساليب الإغريقية القديمة(8).

أهم الادوات التي سخرها الأسكندر المقدوني لإنجاح برنامجه "**التعليم**" حيث نشر تلك الأفكار بين مختلف الفئات من الناس لغرض ترسيخ الأفكار والمبادئ الهللنستية بين أبناء الشرق القديم وهذا ما أدى فيما بعد بتصادمهم مع اليهود في الشرق.

اذاً كانت الأعمدة التي أقام عليها الإسكندر مبدأ العالمية الجديدة هي التعليم واللغة المشتركة والتي أنتجت مبدأ الإخاء.

وحتى لا يكون الدين عائقاً في وجه عولمة الإسكندر المقدوني فقد تبنى كل الديانات القديمة في الشرق القديم بما فيها الديانة اليهودية حين استقبله اليهود وأدخلوه للمعبد وهذا التقليد كان محرماً على غير اليهودي، ودخلوا كجنود مرتزقة في جيش الإسكندر المقدوني.

وعندما زار مصر كان من الأعمال التي قام بها بعد تأسيس الإسكندرية هي زيارته لمعبد الإله "آمون" في واحة سيوة المصرية(9).

وقام بنفس الشيء في بلاد الشام عندما زار معبد الإله "**ملقارت**" الفينيقي , ولهذا استطاع القضاء على جانب مهم جداً في مقاومة المحتل وخاصة إذا كان ذلك المحتل من الغرب الذين يحملون ثقافة مغايرة لعادات وديانات أهل الشرق قديماً وحديثاً.

ومن الأمور التي حاول الإسكندر أن يقرب بها بين الشرق والغرب زواجه من المنطقة الشرقية وبالتحديد من فارسيات حيث تزوج من روكسانا Roxane إضافة إلى فتاتين فارسيتين أخريين، وكان ذلك في العام 327 ق. م (10).

وقد ولدت له ولداً أي روكسانا بعد موته ولكن تم اغتيالها هي وابنها، كما زوج الاسكندر ثمانين من قواده الكبار بنساء فارسيات (11) . وكل ذلك كان في سبيل إقامة ذلك النظام العالمي الذي سعى اليه ومحاولة إزالة التوتر الذي كان قائماً بين الشرق والغرب حتى تستطيع الحضارتان الإندماج والخروج بحضارة واحدة مشتركة (12) .

مدينة صور ومقاومة عولمة الإسكندر:

نتيجة للقوة التي يتمتع بها جيش الإسكندر الجرار وخيانة بعض الفئات في الشرق استطاع الإسكندر المقدوني إن يكتسح كل شيء في طريقه والمدينة الوحيدة التي وقفت في وجه عولمة الإسكندر واحتلاله مدينة "**صور = فلّوجة العصر القديم**" فقد رفضت تلك المدينة الإحتلال المقدوني وأصبحت هدف الإسكندر المنشود لاقتحامها وليس بغريب عن هذه المدينة التي استطاعت إن تبقى تحت الحصار في عهد نبوخذ نصر القائد

البابلي، من "**586–572 ق. م**" ثلاثة عشر عاماً تقريباً (13) .

وقد جند الإسكندر كل معداته الحربية الثقيلة لضرب تحصينات الأسوار في المدينة صور والميناء واستطاعت ان تصمد لمدة سبعة أشهر وتعتبر هذه المدة قياسية ، وعندما استطاع احتلالها قام بتدميرها وباع سكانها في سوق النخاسة(14).

وهكذا انهارت آمال الإسكندر المقدوني ونظامه العالمي الذي ينادي به بسبب تدخل القدرة الإلهية في حياته ومات عام 323 ق. م.

الهوامش والمراجع:

1- محمد أسد الله صفا/ الاسكندر المقدوني الكبير/ الطبعة الأولى/ دار النفائس/ بيروت/ 1985/ ص 31.

2- و.وتارن/ الاسكندر المقدوني/ ترجمة: زكي علي/ مركز كتاب الشرق الأوسط/ القاهرة/ 1963م/ ص ص 20-22 .

3- المرجع نفسه/ ص ص 21-22 .

4- ابراهيم نصحي/ تاريخ مصر في عصر البطالمة/ الجزء الأول/ الطبعة الخامسة/ مكتبة الأنجلو المصرية/ القاهرة/ 1980/ ص 4.

5- المرجع نفسه/ ص 41.

6- فوزي مكاوي/ الشرق الأدنى في العصرين الهلينستي والروماني/ المكتب المصري للتوزيع والمطبوعات/ القاهرة/1999 / ص 23.

7- منير البعلبكي/ قاموس المورد/ الطبعة الرابعة والثلاثون/ دار العلم للملايين/ بيروت 2000م/ ص 432.

8- المرجع نفسه/ ص 421.

9- لطفي عبد الوهاب يحي/ دراسات في العصر الهللينستي/ دار النهضة العربية/ بيروت/ 1988م/ ص ص 69-72.

10- Hammand . and Scullard / The Oxford Classical Dictionary / Second.ed / Oxford /1976 / P.937.

11- ارنولد توينبى / تاريخ الحضارة الهللينستية / ترجمة : رمزي عبده جرجس / مكتبة الانجلو المصرية / القاهرة / 1963 / ص ص 152-153 .

12- لطفي عبد الوهاب يحيى / المرجع السابق / ص 68 .

13- محمد أبو المحاسن عصفور / المدن الفينيقية / دار النهضة العربية / بيروت / 1981 / ص 45 .

14- محمد أسد الله صفا / المرجع السابق / ص ص 127 - 130 .